السياسة الخارجية الأمريكية
تجاه المنطقة العربية بعد 11 سبتمبر
منظار بنائي

أ/ سعيد قاسمي.

عانت العلاقات العربية الأمريكية من حالة توتر مزمنة بلغت ذروتها بإعلان الحرب على العراق في 2003، وكان ذلك تتويجا لسياسة العداء الأمريكية تجاه المنطقة العربية منذ الانخراط الأمريكي في الشؤون الدولية عقب الحرب العالمية الثانية، وأظهرت استراتيجية "تغيير الأنظمة" التي استهدفت العراق وقبله أفغانستان، "العداء المتأصل" لدى الأمريكيين تجاه المنطقة بشكل عام، برغم اجتهاد أغلب الأنظمة العربية أو ربما كلها في حماية وضمان المصالح الأمريكية في المنطقة وخاصة المصالح البترولية، التي تعتبر أهم مصلحة للولايات المتحدة، مضافا إليها أمن إسرائيل. وتبين أن جهود تلك الأنظمة لضمان المصالح الأمريكية لا يؤدي لانحيازها للقضايا العربية، ولا لحيادها في مواجهة إسرائيل. وكانت أحداث 11 سبتمبر 2001 قد عمقت من تلك النزعة العدائية، التي بلغت ذروتها بالحرب على العراق وإسقاط نظامه، وتهديد سوريا وليبيا بالتدخل العسكري. وقبلهما قصف مواقع غير عسكرية في السودان الذي مارست ضغوطها عليه لغاية إعلان إجراء استفتاء في منطقة الجنوب، وتزايد الهواجس الأمريكية من الأخطار "المخيلة" التي تشكلها المنطقة العربية على الولايات المتحدة وأمنها الأنتولوجي.

المشكلة البحثية:

برغم التزام الأنظمة العربية بضمان مصالح الولايات المتحدة في المنطقة، ظلت الولايات المتحدة حريصة على دعم إسرائيل على حساب "الطرف العربي" في فلسطين، ولم تجد الأصوات العربية طريقها لآذان الأمريكيين، وذهبت الإدارة الأمريكية لحد المطالبة بتغيير بعض أنظمة المنطقة، في ظل سيطرة رؤية جديدة لكيفية استمرار

المصالح الأمريكية، وهو ما يعني أن هناك عوامل غير المصالح تقف خلف تلك المواقف الأمريكية وتحفزها لتبني سياسة خارجية معادية للعرب.

فما هي درجة تأثير مجموعة إدراكات صناع السياسة الخارجية الأمريكية ومنظومتهم القيمية وخرائطهم الذهنية عن العرب والمنطقة العربية، في صياغة السياسة الخارجية الأمريكية تجاه المنطقة؟

فرضيات الدراسة:

- هناك ارتباط بين تصورات صناع السياسات وإدراكاتهم وأنماط السلوكيات الخارجية لدولهم.
- تؤثر مجموعة القيم المخزنة لدى صناع السياسة الخارجية في أنماط السياسات الخارجية التي تتبناها بلدانهم تجاه الدول الأخرى.

بمعنى أن السياسة الخارجية الأمريكية تجاه المنطقة العربية رهينة الصور الإدراكية التي تشكلت عبر تاريخ التفاعل بين الطرفين، وجرى التعبير عنها من خلال الخطاب السياسي في فترة ما بعد أحداث 11 سبتمبر.

لم تتحسن صورة العرب لدى الإدارات الأمريكية المختلفة برغم محاولات الاسترضاء التي بذلتها الأنظمة العربية، وظهر أن هناك مشكلة ما تتعلق بالخلفيات الفكرية والبنى الإدراكية الأمريكية عن العرب والمسلمين باعتبارهم "الآخر" في مقابل "الأنا" كثنائية قامت عليها الهوية الأمريكية بناء على إدراكات قائمة على فكرة التضاد بين الطرفين. فلم يؤد اجتهاد الأنظمة العربية لضمان استمرارية المصالح الأمريكية في تحسين العلاقات بين العرب وأمريكا، ولم تتغير صورة العرب في الإدراك الأمريكي، وتبين أن هناك معطيات ومحددات أخرى غير التي تقدم على أنها أسباب للعداء، بما تطلب البحث في تلك الخلفيات التي تحكم التصورات الأمريكية غير "منطق المصالح"، الذي لا يقدم التفسير الكافي لتلك المفارقة.

إن محاولة تجاوز تلك المفارقة والإجابة عما تحتكم إليه تلك التصورات التي تتجاوز المصالح، تستدعي استخدام المنظار البنائي للاقتراب أكثر من محاولات فهم تلك العلاقات غير الطبيعية، والذي يعتمد على وجه التحديد على المحددات الفكرية والبنى الإدراكية ودورها في بناء التصورات عن الآخر، وكيفية بناء العلاقة معه، والقائمة على تصوره إما في خانة العدو أو خانة الصديق.

ومنه يمكن القول إنه إذا كانت المقاربة البنائية تنطلق من السؤال: كيف؟ فإنه يمكننا طرح التساؤل: كيف تدرك الولايات المتحدة الأمريكية علاقاتها مع العرب، وكيف يمكنها تحقيق مصالحها في تلك المنطقة التي أصبحت منذ نهاية السبعينيات تصنف بأنها منطقة ذات أهمية حيوية للمصالح الوطنية الأمريكية؟

لقد فشل العرب في فهم الخلفيات التي يحتكم إليها صناع القرار الأمريكي في بناء سياسات بلادهم الخارجية، وخاصة تجاه المنطقة العربية خصوصا والإسلامية بصفة عامة. إن اعتمادهم على المقاربات الواقعية في رصد وتحليل المواقف والسياسات الأمريكية تجاه المنطقة العربية لم تقدم كل الإجابات لخلفيات تلك السياسات، وظلت بعض عناصر الصورة منقوصة ومستعصية على الفهم. وبالتالي كان من الضروري التفتيش في زوايا أخرى علها تكشف عن بعض العناصر لاستكمال بقية الصورة وتقديم فهم أفضل لتلك السياسات.

إن الاهتمام الذي تبديه السياسات الأمريكية بالمنطقة العربية مرده إلى مجموعة من العوامل لا تنحصر فقط في عامل النفط وضمان استمرار تدفقه نحو الولايات المتحدة، والسيطرة عليه لحرمان منافسيها منه، ولكن إضافة إلى ذلك فإن الاهتمام الأمريكي بالمنطقة الذي يعود إلى فترات سابقة، سببه أن هذه المنطقة وإن ظهرت خاضعة للنفوذ الخارجي منذ الحقبة الاستعمارية، إلا أنها بدت مستعصية على القوى الأجنبية برغم مظاهر الخضوع الظاهر، والسبب في ذلك، أن هذه المنطقة تحمل بذور التمرد، ورفض الخضوع للسياسة الخارجية الأمريكية، والتي ترى بدورها أن هناك بوادر لذلك التمرد، الذي أشار إليه العديد من المهتمين الأمريكيين بالمنطقة ممن وصفوا بالمستشرقين الجدد على غرار برنار لويس وهانتغتون وآخرين.

حاولت التفسيرات الواقعية التي سيطرت على مجال دراسات العلاقات الدولية لفترة طويلة، اعتماد تفسير المصالح الأمريكية البترولية تحديدا باعتباره المعطى المحوري كخلفية لذلك الاهتمام، مضافا إليها التحالف الإستراتيجي مع إسرائيل، باعتبارها حامية لتلك المصالح، إلا أن تلك المقاربة لم يكن باستطاعتها تفسير كل جوانب تلك السياسة، وتقديم كل عناصر الإجابة، وتبين أنه حتى السياسات الواقعية التي تبنتها السياسة الخارجية الأمريكية تعبر عن تصور محدد لكيفية تحقيق المصالح الأمريكية في المنطقة، وليست منفصلة عن طبيعة الإدراكات التي لدى صناع القرار عن تلك المصالح التي تتحدد من خلال هوية الدولة وما تتضمنه من قيم ومعايير بحسب ما تصوره البنائية. وهو ما استدعى طرح السؤال: ما هي العناصر المهملة التي كان من شأنها أن تكمل الصورة وتعطي بالتالي تفسيرا متكاملا للسياسة الأمريكية في المنطقة، وخاصة منها الدعم المطلق لإسرائيل، وإعلان العداء للعديد من الأنظمة العربية بداية من العراق ثم سوريا والسودان وليبيا، والتشكك في أنظمة أخرى بعدما ظلت تصنف في خانة حلفاء أمريكا وبالتحديد المملكة العربية السعودية؟

التأصيل النظري.

إن محاولات الإجابة عن تلك الأسئلة استدعت البحث عن مداخل أخرى نعتقد بقدرتها على تقديم بدائل ومداخل لفهم أعمق لتلك السياسة الأمريكية، ولذلك حاولنا اعتماد المقاربة البنائية، التي لا تلغي البعد المادي لتلك المصالح لكنها تضيف إليه بعدا آخر وهو البعد القيمي الإدراكي الذي صاغ ولا يزال يصوغ التصورات الأمريكية للعلاقة مع البلدان العربية والإسلامية عموما.

وتؤكد تلك المقاربة أن العداوات والصداقات في العلاقات الدولية هي بنى اجتماعية تتشكل عبر عملية التفاعل، والتي تتجلى في الخطاب الذي يشير إلى مصادر التهديد والخطر، الذي تنتجه الهوية (ومنها هوية الدور) كهوية اجتماعية حسب ما يذهب إليه ديفيد كمبل والكس ماكليود[1]. وبالتالي يمكننا أن نشكل الصورة التي تحولت بها الإدراكات الأمريكية عن صداقاتها في المنطقة إلى عداوات، وتضمنها الخطاب الأمريكي عن الخطر الذي تشكله المنطقة بأنظمتها ومنظومتها القيمية على المصالح الأمريكية وعلى أمنها الأنتولوجي، خاصة عقب هجمات 11 سبتمبر 2001.

ومنذ تلك الأحداث جرت تحولات مهمة في النظرة الأمريكية للمنطقة العربية، بمختلف أنظمتها السياسية، وطفت إلى السطح لغة جديدة اعتمدتها الولايات المتحدة تجاه مناوئيها وأصدقائها في المنطقة على حد سواء. وجرى تفسير ذلك على أنه نتيجة لسيطرة مجموعة المحافظين الجدد على الإدارة الأمريكية، بما يعتنقونه من قيم وتصورات عن طبيعة الأعداء، وعما يجب أن تقوم به الولايات المتحدة، في عالم جديد يستدعي تكريس الهيمنة الأمريكية.

منذ نهاية الثمانينات وبداية التسعينات وحتى الوقت الراهن تتحدث أدبيات نظرية العلاقات الدولية عن وجود تغيرات عديدة في واقع العلاقات الدولية، ورافق ذلك دعوات لإعادة النظر في مناهج ومقاربات العلاقات الدولية بين تلك التي تتحدث عن ضرورة تكييف النظرية اعتمادا على مجرد إدخال تعديلات على المنظورات السائدة لملاءمة التغيرات الحاصلة، وتلك التي دعت إلى ضرورة إعادة النظر والتجديد النظري العميق في مجمله من خلال التشكيك في الأسس التي قامت عليها النظريات السائدة بشكل جذري، وقد جاءت البنائية ضمن سياق الدعوة لإعادة النظر الجزئي في المنظورات والأسس النظرية لنظريات السياسة الدولية والسياسة الخارجية، وفي ظل هذا الجدل ظهر مفهوم "البنائية" الذي طرحه لأول مرة الكاتب نيكولا أنوف عام 1989 في مقاله (World Of Our Making).

وتزامن ذلك مع العودة القوية للاهتمام بالبعد الثقافي الذي فرض نفسه بشكل ملفت على موضوعات التنظير للعلاقات الدولية والسياسة الخارجية، فقد برزت إلى السطح مجموعة من المنظورات الداعية للاهتمام بهذا البعد الذي جرى استبعاده لعقود تحت دعوى العقلانية والواقعية، والابتعاد قدر المستطاع عن الجوانب القيمية المعيارية ممثلة في العناصر الثقافية والأفكار كونها مشحونة بالكثير من الأحكام القيمية، التي لا تنسجم مع "الروح العلمية" التي يفترض أن تحكم الدراسات العلمية للسياسة الخارجية والعلاقات الدولية بشكل عام، ولا يمكن إخضاعها للمناهج العلمية الوضعية.

وفي مجال دراسات السياسة الخارجية ظهرت بعض الرؤى التي تشير الى وجود تأثير واسع للعوامل الثقافية على هذا القطاع الفرعي من العلاقات الدولية، ومن ثم فإن هذا الوضع تطلب من الباحثين تطوير أجندة بحثية لتوضيح آثار الثقافة على السياسات الخارجية للدول، وأنه أضحى من الصعوبة بمكان فهم السياسة الخارجية لعالم ما بعد الحرب الباردة بدون مثل هذا البحث[2]، وهو ما اعتبر من المنظورات الجزئية أو القطاعية (sectorial)، لإعادة النظر في الدراسات النظرية على المستوى الفرعي من دراسات العلاقات الدولية الكلية، إضافة الى تلك الدراسات التي تناولت مجموع القضايا التي يثيرها البعد الثقافي، باعتباره محركا للتفاعلات الدولية، بالنظر لتداعياته – البعد الثقافي والقيمي عموما- على المستويات الأكاديمية والعملية.

وفي تعريفها للبعد الثقافي في العلاقات الدولية –الذي يشكل العدسة التي تنظر عبرها الدول لمحيطها ولذاتها- تقول نادية مصطفى "إنه ذلك البعد المتصل بآثار اختلاف الثقافة والحضارة، على الاختلاف في الرؤى والقيم وقواعد السلوك والأخلاق، وعلى اختلاف الرؤى للعالم ولمعايير التقويم ودوافع السلوك وأسس الهوية، وهي ذات تأثير على المستويات التالية: أسس جديدة لتقسيم العالم، ومحرك للتفاعلات الدولية، ومحدد لنمطها ولحالة النظام الدولي، وأداة من أدوات السياسة، وموضوع من موضوعاتها، ومحدد لخطاب النخب، وأخيرا عنصر تفسيري أو تبريري للتحالف ومكونات القوة"[3].

ويشير روبرت جيرفيز (Robert Jervis)، إلى دور الحالة الإدراكية بالقول إنه "يستحيل غالبا تفسير القرارات والسياسات من دون العودة إلى معتقدات صناع القرار، بشأن العالم وتصوراتهم للآخرين[4]، وهو العمل الذي حاولت نظرية الدور القيام به منذ بداية السبعينيات من القرن الماضي من خلال جهود هولستي، ثم بعده روزناو وآخرون، الذين رأوا أن السياسة الخارجية مجرد

مجموعة أدوار تسعى الدول إلى لعبها على الساحة الدولية.

ويعتبر الكثير من الباحثين أن المقاربة البنائية لدراسة العلاقات الدولية والسياسة الخارجية إنما جاءت متزامنة مع الجدل الذي أعقب المرحلة السلوكية، وهي المرحلة التي شهدت عودة الاهتمام بالمعايير والقيم والهويات في العلاقات الدولية، وكذا الدعوات لإعادة النظر في العديد من القضايا المتعلقة بحالة علم العلاقات الدولية بحد ذاتها، بحيث يرى جوزيف لبيد(Josef Lapid)[5]، أحد أبرز دعاة التوجه الجديد أن العلوم الاجتماعية الغربية، والعلوم الأمبريقية/الوضعية (Empirical/Positivism) تتطلب إعادة النظر في مصطلحات أساسية مثل الحقيقة (Truth)، والعقلانية (Rationality)، والموضوعية (Objectivity). وكان ستيف سميث قد أشار إلى أنه "لا يمكن لأية مقاربة منفردة أن تستوعب التعقيد المميز للسياسة العالمية المعاصرة، ولذلك فنحن إزاء مجموعة كبيرة من الأفكار المتنافسة ولسنا إزاء تقليد نظري واحد. وهذا التنافس بين النظريات يساعد على معرفة مواطن القوة والضعف ويثير بذلك التحويرات اللازمة[6]، لفهم السياسات الدولية والسياسات الخارجية للدول.

وقد كان الفصل بين البعدين القيمي والواقعي- بالشكل التعسفي الذي جرى من طرف المدارس الوضعية- محل نقد من طرف عدد من الباحثين على رأسهم روبرت كيوهان (Robert Keohane)[7]. وهو ما وفر الأرضية للمقاربة البنائية لطرح تصوراتها للكيفية التي يمكن عبرها إيجاد مداخل تفسيرية جديدة للسياسة الخارجية. خاصة في ظل العودة القوية للموضوعات المتعلقة بالهوية والمحددات الثقافية في العلاقات الدولية إلى واجهة الاهتمامات سواء على مستوى الطروحات الأكاديمية أم على مستوى الخطاب السياسي.

وقد شكلت الطروحات التي قدمها نيكولا أونوف (Nicolas Onuf) حول طبيعة المقاربة البنائية، مرجعية أساسية للرواد اللاحقين لهذا التوجه، حيث اعتبر البنائية "طريقة لدراسة العلاقات الاجتماعية- أي شكلا من العلاقات الاجتماعية"[8]، ومن ثم تبنت هذه المقاربة ضرورة الاهتمام بالقضايا غير المنظورة في العلاقات الدولية، بعيدا عما درجت عليه العادة بين منظري العلاقات الدولية بالتركيز على التجليات المادية لتلك العلاقات، في ظل اعتبار السياسة الخارجية شكلا من أشكال العلاقات الاجتماعية على المستوى الدولي.

وبحسب أنوف فإن "البنائية - وكمنطلق أساسي في تحليلها للعلاقات الدولية والسياسة

الخارجية- تعتقد بأن الأفراد يشكلون المجتمع والمجتمع يشكل الأفراد في عملية تفاعلية مستمرة ذات اتجاهين، ولدراسة تلك العملية يجب البدء من الوسط بين الطرفين، من خلال إدخال عامل ثالث وهو المعايير* التي تربط الطرفين إلى بعضهما"[9]، وقد جرى إسقاط هذا التصور عن تلك العلاقات وما يربط بين طرفيها على مجال العلاقات الدولية، في محاولة لتقديم فهم أحسن لخلفيات تلك العلاقات.

وكان التركيز على التحول في العناصر الأساسية التي يجب التركيز عليها غرضه البحث عن سبب التحول إلى الاهتمام بالعوامل غير المادية في السياسة الخارجية، وهو ما يقصد به القيم والمعايير التي تشكل البنى غير المرئية التي لها تأثيرات سببية في توجيه السياسة الخارجية، بالنظر الى كونها تشكل المعرفة والإدراك للمحيط الخارجي، والتي على أساسها تحدد الدول ذواتها وتحدد مصالحها، من منظور أن التجليات المادية للبنية الدولية هي بمثابة النتيجة للتصورات التي تصنعها الدول عن هذه البنية، في الوقت الذي شددت الواقعية الجديدة على أثر البنى على الدول، على اعتبار أولويتها على الفواعل في حد ذاتها، وهو يبرز في التصورات الواقعية الجديدة لهذا التأثير من خلال تأكيد جون ميرشايمر "أن الواقعية تؤمن بأن سلوكيات الدول تشكل بصفة أساسية البنية المادية للنظام الدولي، والتوزيع المادي للقدرات المادية عبر الدول هي مفتاح فهم السياسة الدولية"[10]، بما يعني أن البنية المادية فقط لها قوة التأثير السببي على سلوكيات الدول التي تجد نفسها مجبرة على التجاوب مع تلك الضغوطات التي يصفها ميرشايمر ب"السيطرة".

هذا التصور تعترض عليه البنائية وتركز من جهتها على تشكيل هويات الفواعل ذاتها من خلال العلاقة مع البنية، باعتبارها البعد الخارجي لذلك التشكيل للهوية، وترى في الوقت ذاته أن ذلك يتم بشكل متبادل بين البنية والفواعل، ففي الوقت الذي تساهم البنية الخارجية في تشكيل هوية الدولة، بسبب ما تفرضه من معايير وقواعد للسلوك قائمة على أساس مجموعة من القيم السائدة، فإن الدولة من جهتها تسعى لفرض بعض المعايير والقيم التي تنسجم مع ما تراه صحيحا اعتمادا على القيم المكونة لهويتها، ومن ثم يبرز دور ذلك التشكيل في تحديد مصالحها حيث إن المصالح والهويات ليست معطاة بشكل مسبق بقدر ما هي نتيجة للتفاعل بين الفاعل والبنية في إطار سياق محدد، والناتج عن الإدراك الذي يتحدد بفعل تأثير القيم والمعايير و الأفكار المشكلة للهويات.

وقد جاء الاهتمام بالتحليل البنيوي في سياق الاهتمام الملفت بالأبعاد الثقافية في العلاقات الدولية سواء على صعيد الخطاب

السياسي أم الأعمال الأكاديمية، والتي كشفت عن تحول أمريكي للاهتمام بهذا البعد غير المادي للعلاقات الدولية*، وذلك نظرا لأهميتها، التي تشير إليها **كايث ناش (Kate Nash)**، بالقول: "إن الثقافة عالميا هي المنشئة للعلاقات الاجتماعية، وإن المجتمع المعاصر تلعب فيه الثقافة دورا غير مسبوق في تكوين العلاقات الاجتماعية والهويات"[11]، وبالنظر إلى كون فترة ما بعد الحرب الباردة شهدت بروز الاهتمام بالسمات الإثنية والدينية والثقافية، فقد أصبحت دراستها وفهمها تحظى بحيز معتبر في الدراسات الدولية.

ونقطة الاختلاف الأساسية بين البنائية والواقعية التقليدية والجديدة تبدأ من التساؤلات الأولية، بحيث إنه في الوقت الذي تنطلق الأخيرة من السؤال: لماذا؟ تنطلق البنائية من السؤال: كيف؟ فالواقعية والواقعية الجديدة بسؤالها: لماذا تلجأ الدول مثلا للتحالفات تنتهي إلى الإجابة: لضمان أمنها ومنع الآخرين من الاعتداء عليها، أما سؤال البنائية فيأخذ منحى آخر بسؤال: كيف تدرك الدول أهمية التحالفات؟ سيقود إلى البحث في التصورات والإدراكات التي تحدد المخاطر، والعداوات والصداقات، ومن ثم كيف يكون التعامل مع هذا المعطى؟ ويعطي عدد من الباحثين المثال التالي: لماذا لا ترى الولايات المتحدة الأسلحة النووية البريطانية كخطر، بينما ترى تلك التي لدى كوريا بأنها تشكل خطرا برغم قرب بريطانيا وحجم ترسانتها النووية الأكبر من تلك التي لدى كوريا، وسيكون الجواب مختلفا لأن للولايات المتحدة تصورها عن علاقتها ببريطانيا على أنها صديق، بينما كوريا ترتبط بصورة العدو، والعداء والصداقة هما رهينة الفهم المتبادل[12].

ومن ثم فإن منظومة القيم والمعتقدات والتصورات، التي يسميها بعض الباحثين "نظام المعتقدات" أو "النسق العقدي" عن الذات وعن المحيط، هي بمثابة العدسة التي تنظر من خلالها الدول لمحيطها ولطبيعة العلاقات التي يفترض أن تحكم طبيعة تفاعلات الدولة مع محيطها بحثا عن مصالحها، بحيث إنه عندما يقبل البنائيون بتأثير الأفكار في مجال السياسة، فإنهم يحتفظون بالمسلمة العقلانية، والتي بحسبها يتصرف"الشعب" والمسؤولون بصفة أنانية وبأكثر عقلانية في شكلها الواسع.

إن التصورات عن العالم (*world views*)، التي تعرف كتصورات لمختلف السلوكيات الممكنة، والاعتقادات الأساسية (*principle beliefs*)، التي تفهم على أنها الأفكار أو التصورات المعيارية، والاعتقادات السببية (*causal beliefs*)، وهي الاعتقادات المتعلقة بالعلاقة بين السبب والأثر، تبدو متضمنة في التحليل في حال أنها تلعب دورا في تعريف التفضيلات أو المصالح، وفي هذه الحالة

تأخذ الهوية موقع المتغير التفسيري المكمل للدول، والذي تكون فائدته مرتبطة بسياق معين، على نفس القدر الذي تأخذه الشروط المادية عند والتز أو المؤسسات عند كيوهان[13]. ومن ثم كان لتصورات الولايات المتحدة والصور النمطية المترسخة عن الذات والآخرين والمرتبطة بمكونات الهوية الأمريكية- والتي أعيد إحياؤها مع وصول المحافظين الجدد إلى السلطة- أثرها على السياسة الخارجية الأمريكية، وخاصة تجاه المنطقة العربية.

واعتمادنا منطق التحليل البنائي يدفعنا لاعتماد مدخلين هما مدخل تأثير الهوية (ضمن المقاربة البنائية) والمدخل الإدراكي (أو تأثير المدركات) الذي يعتبره **أولي هولستي** النموذج الرابع في تحليل السياسة الخارجية[14]، بحيث تلعب الهوية دورا محوريا في تحديد المصالح وتصنف قطبي الأعداء والأصدقاء بناء على المدركات التي تلعب الدور الأساسي في تشكيل الصور عن الذات وعن الآخرين، من زاوية أن بعدي الهوية الداخلية التي يسميها "وندت" الهوية التعاضدية، والهوية الخارجية وهي هوية الدور والهوية الجماعية، التي تكشف درجة معينة من التماثل القيمي بين أعضاء نفس المجموعة.

وحسب روبرت جيرفيز، فصناع القرار السياسي نادرا ما تكون لديهم معرفة مناسبة للوضع، وهم في الغالب مجبرون في مواجهة تعقيد المعلومات الواردة، بأن لا يأخذوا بعين الاعتبار إلا الجزء الضئيل من تلك المعطيات تبعا للإطار التصوري، ورؤيتهم للعالم. والمصدر الرئيس للصور المغلوطة تقوم على التوجهات التي لدى نظام المعتقدات عما يجب إغفاله أو ما يفسر خطأ المعطيات التي لا تخدم توجهاتها[15].

أحداث 11 سبتمبر 2001 و إعادة استحضار الصور النمطية السلبية عن الآخر:

إن الحديث عن التحليل البنائي للسياسة الخارجية الأمريكية تجاه المنطقة العربية عقب أحداث 11 سبتمبر 2001، يتطلب بالضرورة البحث في مضامين الخطاب السياسي، الذي يعبر عن الهوية الأمريكية، والتي تتضمن صورة الذات والآخر، وتتحدد عبرها بعض أو كل المصالح الأمريكية في تعاملها مع ذلك الآخر، في ظل التأكيد على أن أبعاد الهوية تحدد طبيعة إدراكها للذات والآخرين، ومن ثم تصير بمثابة العدسة التي ترى من خلالها الدول مصالحها الوطنية، وأدوارها في السياسة الدولية في مواجهة الأمم الأخرى.

وبالعودة إلى مضامين الخطاب السياسي الأمريكي، خاصة عقب أحداث 11 سبتمبر، تتكشف درجة تأثير الصور النمطية التي تشكلت لدى الأمريكيين عن العرب والمنطقة العربية والإسلامية عموما في

فترات سابقة. فقد كانت للصور النمطية التي أنتجها المستشرقون التقليديون منهم والجدد دورها الحاسم في ترسيخ تلك الصور، "فأسطورة القاعدة.. باتت تنتسب إلى المخيال السياسي والثقافي الاستشراقي القديم، بأكثر مما تنتسب إلى مخيال سياسي وثقافي لما بعد استشراقي، وذلك بسبب كونها من نوع إعادة إنتاج للصور المألوفة عن العرب والمسلمين "المتوحشين" كما رسمها بعض الرحالة والكتاب في رحلاتهم إلى الشرق"[16]، فتحولت المنطقة العربية والإسلامية عموما إلى مصدر تهديد، بسبب دور الدوائر الأكاديمية الاستشراقية في إعادة إنتاج وصناعة الخوف والتهديد القادم من الشرق.

وعناصر الهوية التي تحكم التصورات الأمريكية لمصالحها الوطنية، أعيد استحضارها من خلال إعادة استحضار الآخر في مقابل الأنا وما يشكله من تهديد، وبالتالي جاء خطاب الخطر* الذي يشير للآخر في خانة التهديد، اعتمادا على الصور النمطية المترسخة في المخيال الأمريكي عن الآخر"المختلف"، و"الشرير" و"الأدنى"، والذي تم إسقاطه على المنطقة العربية بشكل متعسف إلى حد بعيد.

إن جذور هذا الخطاب يجد امتداداته في الثقافة والهوية الأمريكيتين القائمتين على أساس العلاقة الصراعية مع الآخر التي رسختها ممارسات قديمة في التاريخ الأمريكي، وفي تحليله لتلك النفسية الأمريكية التي تعتمد على كراهية الآخر، يقول جميل مطر "ربما تعلم المستوطنون الأوائل كراهية الآخرين أو بالغوا في ممارسة الكراهية عندما تعاملوا مع الهنود الحمر.. وازداد الشعور رسوخا وتعمقا عندما بدأت ثم تمت علاقات طردية مع الزنوج"[17]، ولم تكن لدى الأمريكيين حتى قرب نشوب الحرب العالمية الثانية صورة واضحة عن العرب والمسلمين. و"ما وصل إلى المخيلة الأمريكية لم يزد عن حكايات أغلبها منقول عن "ألف ليلة وليلة"، وأساطير القرون الوسطى وروايات مسطحة ومشوشة عن العهود الصليبية وبعض كتابات الاستشراق.. وربما حتى نهاية الحرب العالمية الأولى كانت للصينيين واليابانيين صور نمطية في العقل الأمريكي أكثر بكثير من الصور عن العرب والمسلمين"[18]. إلا أن هناك من يذهب على العكس من ذلك ويؤكد أن تلك الصور أعمق في الوجدان والمخيلة الأمريكية تعود إلى مراحل سابقة من التوتر، أعادت إحياءها مؤشرات توتر أخرى في الفترات اللاحقة من تاريخ العلاقات والتفاعلات بين الطرفين، وكان الاستشراق الأمريكي قد صنع صورتها الخلفية اعتمادا على ما ورثوه عن أسلافهم الأوروبيين كمعلومات مشوِّهة ومشوَّهة عن العرب والمسلمين. وهنا يبرز

السؤال عن الكيفية التي نشأت عبرها تلك الصور، ويقدم غسان غصن الإجابة عن ذلك عندما يشير بأن البداية تعود لأول ترجمة إنجليزية لمعاني القرآن في 1649، والذي أعقبته المساهمة الرئيسة **لألكسندر روس** بما سماه الخطاب الموجه للقارئ المسيحي، والذي تضمن سيرة للنبي محمد ووصفا عدوانيا للقرآن الكريم بقوله: "سوف تجده ذا تركيبة فظة ومتنافرة جدا، وحافلا بالتناقضات والخطب الفاحشة والخرافات السخيفة.."، وهي النسخة التي أثرت مقدمتها في تكوين المفاهيم الأولية عن الإسلام والمسلمين[19]. وقد تركت تلك الترجمة التي عرفت رواجا كبيرا في أوساط الأمريكيين أثرها الدائم في الصور الذهنية التي لدى الأمريكيين عن المسلمين، أثرت في تعاملهم معهم لاحقا.

و تدعمت تلك الصور الذهنية عبر الاحتكاكات الأولى بين الأمريكيين ك"شعب مختار" والمسلمين، من خلال عمليات القرصنة التي كان يقوم بها القراصنة الجزائريون في عرض المتوسط، ومنها استيلاؤهم في 1679 على سفينة سيث ساوثل المعين حاكما لولاية كارولينا واقتياده إلى الجزائر، واشترطوا فدية مقابل إطلاق سراحه، وبعد قرن من ذلك أي سنة 1776 دخلت الولايات المتحدة بعد استقلالها في مواجهة مع "دول البربر" مثلما كانت تسمى آنذاك بسبب استيلاء القراصنة على السفن الأمريكية ومصادرة ما عليها من بضائع، وهي العمليات التي لم تتوقف إلا في سنة 1816[20]، عندما توصل الطرفان لاتفاقيات بشأن حرية الملاحة.

وغذت المجابهات بين الأمريكيين و"دول البربر" والكتابات المرسلة من السجون، ولاحقا من الولايات المتحدة عن ذكريات العذاب والأسر - ومنها وصف جون فوس" أن أرق مظاهر الرحمة التي أبداها الجزائريون تجاه أسراهم المسيحيين كانت في منتهى القسوة والوحشية- والبطولات إلى شحن النفوس ضد "المسلمين الهمجيين"[21]، وترسيخ الصور الذهنية السلبية التي ظلت تلقي بظلالها على العلاقات بين أمريكا والعالم العربي والإسلامي، خلال تاريخ طويل من التفاعل والاحتكاك.

ولم ينفع التقدم التكنولوجي في تغيير تلك الصور الذهنية التي لدى الأمريكيين عن "الآخرين"- المسلمين- الذين نظر إليهم مثل غيرهم من الآخرين، أنهم أدنى أخلاقيا وأشرار، كمثل الصور التي كانت لديهم عن الهنود الذين تعرضوا للإبادة تحت طائلة نفس الحجة، بنفس الطريقة التي تحدث في العصر الحديث، وأن عليهم تعليمهم المبادئ النبيلة والقيم الإنسانية، باعتبار ذلك "مهمة

مقدسة" و"مصيرا محتوما" على أمريكا أن تقوم به في مواجهة الأمم والشعوب الأخرى.

وكانت كتابات هانتنغتون عن "صدام الحضارات"، و روبرت كابلان "**شرقا نحو الوحشية**"، وبرنار لويس"**جذور التعصب الإسلامي**" الذي اعتبر فيه أن "المسلمين كيان واحد موحد أمكنهم في إطاره تحديد علاقاتهم بالغرب بلغة السخط والعنف والحقد واللاعقلانية"[22]، ويوسف بودانسكي "**استهداف أمريكا**"، ودانيال بايبس ومارتن كرامر، الذين يوصفون ضمن خانة المستشرقين الجدد*، دورها في إحياء وتكريس الصور النمطية السلبية، وتحولت إلى مرجعية أساسية لصناع القرار الأمريكي في رسم توجهات السياسة الخارجية "ذات النزعة العدوانية"، والتي تصورت أن الإرهاب مصدره الثقافة والديانة الإسلامية، والتي عبرت عنها الكتابات المشار إليها أعلاه[23]. وبسبب تأكيد تلك الدراسات الغربية وتحديدا ما طرحه صامويل هانتنغتون ومن تبعه على فكرة أن الهوية عموما والأمريكية على وجه التحديد تقوم على فكرة العداء والتضاد مع الآخر "المختلف"، فقد تم تصنيف المنطقة العربية في هذه الخانة بعدما حرمهم السوفيات الأمريكيون من هذا العدو بعد نهاية الحرب الباردة، وكان لذلك تأثيره على عملية حشد تأييد الرأي العام لأي شكل من أشكال السياسة الخارجية لمواجهة ذلك الآخر المهدد للذات والهوية القومية، وهو ما شهدته الساحة الأمريكية خلال الحملة على العراق في2003.

وانعكس تأثير هذه الأفكار مباشرة على الخطاب والممارسة في السياسة الخارجية الأمريكية، التي توفرت لها مجموع العوامل التي تعجل بنجاحها خاصة منها سيطرة فريق المحافظين الجدد على مقاليد السلطة في البيت الأبيض، التي تملكتها قناعاتها الدينية المتعلقة ب"المهمة المقدسة" و"المصير المحتوم" بقيادة العالم وتمدينه، وإرغام الآخرين على اتباع النموذج الأمريكي الأسمى، إضافة لتعرض الولايات المتحدة لتهديد غير مسبوق في تاريخها، وتفوقها الساحق غير المسبوق للقوة الأمريكية، فقد كان تأثير روبرت كابلان بارزا بشكل كبير عندما طلب بوش من معاونيه دعوة المؤلف إلى البيت الأبيض لمهمة تدريب أثناء العمل[24].

إن تلك التصورات التي عبر عنها أقطاب النخب الأكاديمية، أنتجت خطابا للسياسة الخارجية طبعته لغة العداء، تجاه مجموعة من الدول وصفت ب "الدول المارقة"* ثم "محور الشر"، وحددت من خلالها مجموع التهديدات على الهوية والمصالح الأمريكية، التي كانت الاستجابة لها عبر استراتيجيات جديدة مثلها على الخصوص استراتيجية "الحرب الاستباقية"، و"تغيير الأنظمة"

كأنماط جديدة للسياسة الخارجية الأمريكية.

طبيعة تأثير الإدراكات في الخطاب وممارسات السياسة الخارجية الأمريكية:

أ- توظيف الصور السلبية عن الآخر في الخطاب السياسي الأمريكي بعد 11 سبتمبر: عرف الخطاب السياسي تحولا بارزا عقب أحداث 11 سبتمبر وكشفت النزعة الحادة التي ميزت الخطاب السياسي الأمريكي عقب تلك الأحداث، عن عمق تأثير الصور النمطية المخزنة في توجهات السياسة الخارجية تجاه المنطقة العربية، ومثلتها تصريحات جورج بوش حول "الحرب الصليبية"، التي أعادت التذكير بالموروث الدامي في العلاقات بين الغرب والمسلمين، وأحيت المواجهة التاريخية بين ثقافتين تعتقد كلاهما في تفوقها وسموها، وترسم صورة "مشيطنة" عن الآخر المختلف، اعتمادا على خلفيات العلاقات الصراعية بين الطرفين.

وخضعت السياسة الخارجية الأمريكية تجاه المنطقة العربية، منذ انخراطها في الشأن الدولي لمجموعة الإدراكات التي رسخها الفكر الاستشراقي حول المنطقة، وبرزت بشكل جلي بعد هجمات أحداث 11 سبتمبر 2001، في سياق رؤية جديدة للعالم وتصنيف جديد لأقطاب الأصدقاء والأعداء، و ضمن تصورات "المدرسة الإمبريالية الجديدة"[25]، التي قادها من يسمون بالمحافظين الجدد، والتي أرادت إحداث "تغيير أنظمة الحكم" التي تتحدى هوية الدور الأمريكي، وتحديدا العراق وبدرجة أقل إيران وكوريا الشمالية، ورأت أن من واجبها جلب الديمقراطية لشعوب المنطقة العربية بواسطة القوة العسكرية، التي يحكمها استبداديون وشعوبها "مهانة" و"مسترقة" و"متخلفة" أو "بدائية"[26]، في سياق تكريس لرؤية الآخر "الأدنى"، وتبرير لسياسة إمبريالية، تدخلية، ذات نزعة استعلائية، عكسها الخطاب السياسي الأمريكي بشكل واضح.

إن صناعة صورة العدو التي تعتبر ركيزة أساسية في السياسة الخارجية الأمريكية تعتمد بشكل رئيس على تطوير خطاب محدد عن الأعداء، وإن كانت فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية قد أنتجت صورا عن "العدو المشيطن" و"الأدنى والشرير" جسدها السوفيات، فإن مرحلة ما بعد الحرب الباردة وما شهدته من ارتباك في توجهات السياسة الخارجية الأمريكية، دفعت للبحث عن تمثيلات جديدة لأولئك "الأعداء" تم التعبير عنها في مقولات "الدول المارقة" و"محور الشر"، وكلها تتضمن صورا سلبية عن الآخر الذي يمثل التحدي للولايات المتحدة ولهويتها "الخارجية"- هوية الدور- ومصالحها الوطنية، وهي المنظورات التي

تمتد في تاريخ الولايات المتحدة منذ بداياتها، حيث جسد الآخر "المشيطن" و"الأدنى" السكان الأصليين، ثم بريطانيا الملكية، وبعدها جاء الدور على أوروبا بدبلوماسيتها السرية، والنازية والشيوعية لاحقا قبل أن يأتي الدور على العرب والمسلمين. وكلها تم تجسيدها في صورة "الشر" و"الشيطان"، و"الأدنى أخلاقيا"، وربما يصدق في ذلك التحليل الذي يقدمه جميل مطر للنفسية الأمريكية التي تعتمد على كراهية الآخر بالقول: "ربما تعلم المستوطنون الأوائل كراهية الآخرين أو بالغوا في ممارسة الكراهية عندما تعاملوا مع الهنود الحمر.. وازداد الشعور رسوخا وتعمقا عندما بدأت ثم تمت علاقات طردية مع الزنوج[27]، وهي علاقات الكراهية التي صارت مستدامة في السياسة الخارجية الأمريكية، وتضبط إيقاع علاقاتها بالفاعلين الآخرين الذين يبدون اعتراضا على المصالح الأمريكية.

وعرف الخطاب الأمريكي حول السياسة الخارجية تحولا دراماتيكيا عقب أحداث 11 سبتمبر 2001، أشبع محتواه بالصور والاستعارات التي نهلت من تراث ثقافي يؤمن بالتفوق والمهمة المقدسة لأمريكا، في مقابل الشعوب والأمم الأخرى، ويركز على الخطر الذي يشكله الآخر على الأمن الأمريكي، وعلى سمو القيم الأمريكية.

وكان ذلك واضحا في تصريحات الرئيس الأمريكي جورج بوش غداة هجمات 11 سبتمبر، عندما فسر سلوك من استخدموا الطائرات المدنية لاستهداف منشآت داخل الولايات المتحدة بأن ذلك نابع من "كرههم للقيم الأمريكية"، ولا يبدو أن تحليل بوش كان على صواب، فالاعتقاد في كراهية الآخر للقيم الأمريكية لا يعبر عن حقيقة الأمر، وربما كان الأصح أن يقول الرئيس جورج بوش "إنهم يكرهون "العجرفة" و"الأحادية" و"النزعة التدخلية"، التي ميزت السياسات الأمريكية تجاه الشعوب الأخرى، والقائمة على "احتقار الآخر"، الناتج عن الاعتقاد في التفوق الأمريكي القائم على فكرة "الاستثنائية"، والتي تقول بأن النموذج السياسي الأمريكي فريد، ومن واجب الأمريكيين تبليغه للآخرين، وكان توماس جيفرسون قد وصف هذا الإلهام الإلهي النبيل للولايات المتحدة تجاه العالم بقوله: "الجمهورية الوحيدة في العالم والرمز الوحيد لحقوق الإنسان، والمستودع الوحيد للنار المقدسة للحرية والحكم الذاتي، ستضيء فوق مناطق أخرى من الأرض[28].

تميز الخطاب السياسي الأمريكي بشحنة غير مسبوقة من عبارات العداء تجاه الآخر - المنطقة العربية وبعض أنظمتها تحديدا- أظهرته تصريحات المسؤولين

السياسيين، وتضمن التوصيفات الأكثر سلبية عن الآخرين، خاصة تلك المتعلقة بالمسلمين والمنطقة العربية والإسلامية عموما، وجرى التشديد على العراق بصفة محددة بشكل جعل روبرت بيرد يقول: "يبدو لي أن الرئيس هو الذي ينوي تحريف التاريخ، فثمة فيض من الأدلة الواضحة التي لا يمكن الخطأ بشأنها على أن الإدارة (إدارة الرئيس بوش) قد سعت إلى تصوير العراق على أنه خطر مباشر وفتاك يهدد الشعب الأمريكي"[29]، واتضح أن "المحافظين الجدد في واشنطن ربطوا أجندتهم الموجودة مسبقا (الهجوم على العراق) بحدث منفصل (هجمات 11 سبتمبر) وخلقوا بالتالي واقعا جديدا تماما"[30]، جرى تكريسه عبر خطاب عدائي تجاه الآخر المختلف والأدنى والشرير، وهو التوصيف الذي ألصق ب"الإرهابيين والإرهاب وكان كافيا لتفسير الهجمات"[31] وتبرير سياسات واشنطن اللاحقة تجاه من لا يقف في صفها ضد "الأشرار".

وبالرغم من أن "المبادئ العامة للسياسة الخارجية لا تفرض مستوى من الخطر الذي يجب على الولايات المتحدة أن تخاطر به لتحقيق غاياتها، فقد اختارت إدارة بوش، وهي تدفع نحو تغيير نظام الحكم في العراق استراتيجية خطر عال، ومكافأة عالية، والخطر الذي خاطرت به الإدارة لم يكن خطرا غير معقول، وخصوصا في ضوء ما اعتقدته بشأن أسلحة الدمار الشامل في ذلك الوقت"[32]، لكن وكما ثبت في النهاية "فقد بالغت الإدارة في التهديد الموجه من العراق على وجه الخصوص.. وعلاوة على ذلك دمجت الإدارة تهديد الإرهاب النووي مع مشكلة الدولة المارقة/والانتشار وطبقت علاج الحرب الوقائية على أقل الخطرين شأنا"[33].

لقد تم اختلاق الكثير من "سيناريوهات" الخوف نتيجة لأحداث 11 سبتمبر، حيث إن اصطلاح "الإرهاب" حل محل الشرعية كوصمة سائدة، تلصق بكل من يناهض الهيمنة الأمريكية، بل إنه على المستوى المحلي أصبح معيارا لامتحان الولاء، والتعاون، والخير والشر، كما أصبح المحك للتمييز بين العدو والصديق[34]، عندما كان بوش يردد "من ليس معنا فهو مع الإرهابيين"، وبالتالي أصبح خطاب السياسة الخارجية مرتكزا على توصيفات "الخير" و"الشر" التي شدد عليها الرئيس بوش عندما قال: "إننا في صراع بين الخير والشر، وأمريكا ستسمي الشر باسمه"، إنكم إما أن تكونوا معنا- وبالتالي ضد الشر- أو تكونوا ضدنا وبالتالي مؤيدين لمرتكبي الشرور، أي الإرهابيين أنفسهم"[35]، وصارت القاعدة في التعامل اللاحق أن أمريكا ومن يحالفها هي "رمز للخير والتفوق، ومن يعاديها أو لا يساندها يمثل الشر والتوحش"، وليس ذلك

إلا تأكيدا للتأثير الذي مارسته المنظومة القيمية والصور النمطية التي لدى أمريكا عن نفسها وعن الآخرين المختلفين والتي تقسم العالم في سياق ثنائية الخير والشر، وبالتالي على سياستها الخارجية، التي جعلتها تنخرط في حرب لا تنتهي إلا بنهاية الشر، الذي يبدو أنها تصورت تخويلها محاربته إلى النهاية كونها تمثل "إمبراطورية الخير"، في مقابل الأشرار.

ب- أثر المدركات على ممارسات السياسة الخارجية الأمريكية تجاه المنطقة العربية بعد 11 سبتمبر2001: تستدعي محاولات فهم توجهات السياسة الخارجية الأمريكية تجاه المنطقة العربية عقب أحداث 11 سبتمبر 2001، البحث في مضامين الخطاب حول تلك السياسة التي اعتمدت على صور تشكلت عبر فترات محددة، وغذاها فكر المحافظين الجدد، الذي ينهل من التراث الثقافي الديني للولايات المتحدة، ويعيد استحضار مقولات دينية في قوالب سياسية، بالحديث عن التأثير "الحميد" للهيمنة الأمريكية، وبأن الولايات المتحدة هي الدولة التي لا غنى للعالم عنها، وذلك بعد تمكنهم من التغلغل والسيطرة على الإدارة الأمريكية في عهد جورج بوش الابن، وكانت تلك السياسة الخارجية تجسيدا للخطاب الذي تداولته النخب السياسية والأكاديمية.

ويمكننا قراءة السياسة الخارجية تجاه المنطقة العربية ضمن المستوى الذي يقدمه وليام والاس* باعتبار "السياسة الخارجية ضمن الاستراتيجيات الكبرى للدولة، والتي تعتبر أن السياسة الخارجية متعلقة بالهوية الوطنية ذاتها، أو المتعلقة بالكبرياء الوطنية، كخصوصيات تميز دولة عن جيرانها، والعنصر الجوهري للسيادة الذي يتطلب الدفاع عنه، والقيم التي تستحق الدفاع عنها والتي تتطلب ترويجا في الخارج"[36].

ولئن كانت المنطقة العربية تحديدا والإسلامية بصفة عامة قد عانت من تداعيات تلك السياسة، فإن سبب ذلك مرجعه مدركات المحافظين الجدد من جهة، وانحيازاتهم (وخصوماتهم) السياسة من جهة أخرى، والتي تحكمت بشكل أكبر في العلاقات الأمريكية العربية[37]، وساهمت في ترسيخ الصور السلبية عنهم كـ"أعداء" لأمريكا ولنموذجها، والأشد خطورة على مصالحها وعلى حلفائها ضمن دائرة الديمقراطيات المتواجدة في المنطقة ممثلة في إسرائيل بشكل خاص.

ذلك أن السياسة الخارجية للولايات المتحدة الأمريكية انطوت على مضامين متعلقة بالهوية (بشقيها الداخلي والخارجي)، فقد برز الداخلي منها من خلال استحضار خطاب "الخطر" المتعلق بالهوية الأمريكية كنموذج معرض للتهديد، من الجماعات

المتطرفة والدول المتحالفة معها التي "ترفض" النموذج الأمريكي، أما الجانب المتعلق بالهوية الخارجية أو ما يسميه وندت هوية الاجتماعية وضمنها هوية الدور، فهو إصرارها على لعب دور "حامي" العالم الغربي "الديمقراطي" أو منتدى "الديمقراطيات" عبر سياسة الهيمنة وفرض النموذج، وهو ما اعترضت عليه تلك القوى، خاصة وأن الولايات المتحدة حاولت في نفس السياق فرض بعض معايير السلوك الجديد ومنها رفضها حصول بعض الدول على التكنولوجيا النووية، وتم تصنيفها في خانة "محور الشر" على غرار العراق وإيران وكوريا الشمالية وليبيا والسودان، وهي الدول التي رفضت هوية الدور الجديدة للولايات المتحدة بشكل جعلها في حالة تعارض مع تلك الدول.

ولعبت الهوية الأمريكية بمكوناتها الدينية والثقافية دورا أساسيا في تشكيل حالة من الاستقطاب بين قطبي الأصدقاء/الأعداء، والتي على أساسها جرت تصرفاتها فيما بعد. ففي حين تحول قطب الأصدقاء والحلفاء إلى رافد ل"هوية الدور"، الذي لعبته الولايات المتحدة عبر تقديم نفسها ك"حامي للعالم الحر" و"نادي الديمقراطيات"، فإن القطب الآخر بما يشكله من تحد لتلك الهوية وتهديد لمصالحها إلى خانة التوصيف ب"الشر" و"الأدنى" الذي يتطلب تبني سياسة معادية ضده، بداية من الدول الملكية في السنوات الأولى لنشأة الولايات المتحدة، ثم الكتلة الشرقية منذ الحرب العالمية الثانية، التي وصفت بإمبراطورية الشر، وآخر ما وصف ب"الدول المارقة" التي تحولت فيما بعد إلى "محور الشر"، والتي صارت هدفا لمحاولات إدماجها في منظومتها القيمية عبر "سياسة الدمقرطة"، وكانت في مجملها دولا عربية وإسلامية.

ولذلك تبين أن السياسة الخارجية الأمريكية عقب أحداث 11 سبتمبر، عكست التصورات "المزيفة" التي لدى الأمريكيين عن الآخرين، وتصوراتهم عن الخطر أو التهديد، الذي تم رفعه إلى أعلى المستويات ليسمح بخيارات اعتبرت حتى من بعض الأمريكيين بأنها متطرفة في مجال السياسة الخارجية و المبالغة في رؤية المصالح الوطنية على حساب الآخرين. وكان الغرض إشباع صورة الذات المعبرة عن هوية محددة، وحشد التأييد الجماهيري لأي قرار تتخذه الإدارة في سياق ذلك. والصور عن الآخرين في مقابل صورة الذات والتي عبرت عن معطى الهوية، جعلت من السلوكيات الأمريكية تجاه ذلك "الآخر"، الذي جسدته المنطقة العربية والإسلامية باعتبارها مصدرا للإرهاب، وتحديدا العراق، "عدوانية" و"انفرادية" و"تدخلية"، إلى حد أن تعرضت لانتقادات مسئولين سابقين على غرار الرئيس

الأسبق بيل كلينتون، وكاتبته للخارجية مادلين أولبرايت[38]، فقد صورت النخب السياسية وأغلب النخب الأكاديمية الخطر العراقي ك"خطر داهم" وشيك، على افتراض علاقات غير "مؤكدة" مع المتطرفين وتحديدا تنظيم القاعدة، مضافا إليها حيازته "الوهمية" لأسلحة دمار شامل، كلها باتت بحسب التصورات والإدراكات الأمريكية "المزيفة" تهدد الأمن القومي الأمريكي، وهي الإدراكات التي على أساسها تحركت الولايات المتحدة ضد العراق وقبله ضد نظام طالبان في أفغانستان، في سياق عسكرة غير مسبوقة للسياسة الخارجية الأمريكية. وكانت استراتيجية "تغيير الأنظمة" التي اعتمدتها واشنطن عقب أحداث11 سبتمبر2001، قمة تلك "العسكرة"، و"الأحادية" الناجمة عن تفسير أحادي الرؤية، والقائم على هاجس "مفهوم وخطاب الخطر" الذي ترجمته بعض السياسات، واستدعى تبني استراتيجية "الحروب الاستباقية".

لقد كان لجيمس وولسي - الذي أثرت أفكاره على صناع السياسة الخارجية في عهد جورج بوش الابن، والتي ظل من خلالها يردد أن "البعث شكل من أشكال الهتلرية- قد ساهم في صياغة التصورات الأمريكية عن العراق، وذلك عبر تأثيره في أفكار كل من ولفويتز وريتشارد بيرل[39]، اللذين ساهما بشكل كبير في رسم تلك السياسة، عبر المبالغة في تقدير الخطر الذي يشكله العراق تحديدا والمنطقة العربية بشكل عام. وهو الخطاب الذي برزت معالمه في السياسة الخارجية التي ارتكزت على خطاب الخطر على "الهوية الاجتماعية" الأمريكية ك"حامي للديمقراطيات والعالم الحر" ومن ثم على مصالحها الوطنية، وجسدت تلك السياسة استراتيجية "تغيير الأنظمة المستمدة من أفكار ليو شتراوس الفلسفية والتي جرى نقلها لميدان السياسة الخارجية.

وبناء على "الإدراكات المزيفة" على حد تعبير توماس ليندمان[40]، للمنطقة العربية والإسلامية، تحددت السلوكيات الأمريكية تجاهها، بداية من شن الحرب وإسقاط نظام طالبان ووصولا إلى الحرب على العراق وإسقاط نظامه دون حجة مثبتة ضد نظام صدام حسين، باستثناء "منتجات الخطاب السياسي" عن الخطر العراقي، ومعاداة الحكومة المنتخبة في فلسطين، وانتهاء بتصنيف المنطقة العربية كمصدر خطر محقق، كونه "مفرخة" للإرهابيين الناقمين على أمريكا، وبناء على ذلك حددت صيغا جديدة التفاعل معها. والتي عبر عنها بالضغوط التي مورست ضد أنظمة المنطقة لتبني سياسات أكثر "انفتاحا" على القيم والممارسات الديمقراطية، يمكن أن يقودها يوما لأن تكون ضمن "نادي الديمقراطيات"، وبالتالي تحقيق حالة

"السلام الديمقراطي" الذي يتمسك به الليبراليون، ويتطلعون لأن يحقق لأمريكا مصالحها دونما حاجة للحرب.

إن اعتمادنا منظور الهوية والمدخل الإدراكي ضمن سياق المقاربة البنائية، لتفسير وفهم السياسية الخارجية الأمريكية، يعود أساسا لكونه لا يلغي المصالح الأخرى التي تشير إليها التفسيرات الواقعية، والتي تجملها في المصالح النفطية والأمنية - من خلال ضمان أمن إسرائيل- ولكنه يشدد على أنه حتى تلك المصالح إنما تحددها الهوية التي تنتج حالة من الاستقطاب بين الأعداء/الأصدقاء. ففي حين لا تبدي الولايات المتحدة خوفا على تلك المصالح في المناطق التي تنطوي على حالة من التماثل القيمي مثل كندا أو بريطانيا أو غيرها من الدول، فإنها تستشعر مخاوف كبيرة وترسم استراتيجيات لمواجهتها ضد "الأعداء" مثلما حدث تجاه المنطقة العربية عقب أحداث 11 سبتمبر، عندما أعلنت الحرب ضد العراق ورفض الانتخابات الفلسطينية التي فازت فيها حركة حماس- التي وإن كان فوزها كان ديمقراطيا إلا أنها لا تتبنى القيم الأمريكية- وسطرت مجموعة من برامج "الإصلاح" على غرار "مشروع الشرق الأوسط الكبير" و"مشروع الشرق الأوسط الجديد"، والتي كانت تهدف إلى تغيير المنظومة القيمية لمجتمعات ودول المنطقة عبر إصلاح منظومتها التعليمية*، بهدف خلق حالة من التماثل مع القيم الأمريكية، وبالتالي خلق ظروف جديدة من شأنها جعل شعوب تلك المنطقة لا تبدي اعتراضا على المصالح الأمريكية.

وبعد ذلك يمكننا أن نقدر من خلال المقاربة البنائية أن كل صورة عن الآخر يمكن أن تلبس بعدا موضوعيا لا يمكن تجنبه، ودرجة اقترابنا من دولة أخرى يرتبط بشكل كبير بهويتنا و قيمنا، فدولة ديمقراطية يمكن أن تتماثل بسهولة مع دولة شبيهة- أي مع دولة ديمقراطية أخرى تتقاسم نفس القيم- أكثر من دولة شمولية التي تكون قيمها متعارضة، وتوزيع الأقطاب عدو/صديق ترتبط اليوم أكثر فأكثر بتجمع الهويات لأن التحالفات أو الهويات الجهوية كالناتو أو الاتحاد الأوروبي تتشكل أساسا من دول تتقاسم نفس القيم السياسية[41]. وعملية الإدماج التي تحدث عنها **ريتشارد هاس** لمجموعة من البلدان والمنظمات الأخرى، كهدف للسياسة الخارجية، والتي يرى أنها "ستتم ضمن بعض الترتيبات وتقود لخلق عالم يتسق مع المصالح والقيم الأمريكية"[42]، إنما يدخل ضمن نفس سياق عمليات التحويل "القسري" للشعوب من خانة الأعداء إلى خانة الأصدقاء، لضمان استمرار الهيمنة والمصالح الأمريكية. وإن كان توماس ليندمان يؤكد أن "صناع القرار الأمريكيين يبالغون بكل

وضوح في تقدير خطر "الدول المارقة"، والتي يفترض أنها غير عقلانية بشكل كبير لتوجيه أسلحة الدمار الشامل التي بحوزتها تجاه الأهداف الأمريكية، فإن مصادر هذه المبالغات في تقدير التهديدات يمكن أن تكون متعددة، فإذا صورت "الدول المارقة" بأنها "انتحارية"، فإن تلك الصورة التي أصبحت متجذرة لدى صناع القرار الأمريكيين، تبدو أكثر احتمالا أنها تتفق مبدئيا مع بعض المصالح التنظيمية للجيش الأمريكي والصناعات العسكرية الأمريكية، فلجنة رامسفيلد التي كانت وراء التقييم المثير حول "الدول المارقة" في سياق استراتيجية الدرع الصاروخي الأمريكية، كانت تركيبتها بشكل شبه كلي من عسكريين وشخصيات مقربة من صناعات السلاح"[43]، وبدون تلك الإدراكات التي تضمنتها الهوية الأمريكية، لا يبدو من السهل تفسير وفهم السياسة الأمريكية في المنطقة العربية، تلك السياسة القائمة على تصور معين للمصالح الوطنية، القائم على رؤية محددة للهوية الأمريكية الراغبة في ممارسة الهيمنة.

إن تأثير مجموعة الإدراكات والصورة التي لدى صناع القرار في واشنطن تجلت في حالة العراق، بحيث "يؤكد الواقع أن الولايات المتحدة أدركت أن العراق يقع ضمن خانة الأعداء، وبالنظر لتأثير مجموعة المحافظين الجدد كان الخطاب الديني "المصير المبين" و"المهمة التمدينية" التي تقع على عاتق الولايات المتحدة حاضرة ودفعت بالتالي إلى الحرب"[44]، ومن ثم فطبيعة تلك الصور والمدركات التي سيطرت على صناع السياسة الخارجية الأمريكية، كانت وراء تلك النزعة العدائية التي ظهرت ضد العراق تحديدا.

ويبدو البعد الهوياتي للسياسة الخارجية وللحروب الأمريكية جليا بشكل كبير، إذا أخذنا بعين الاعتبار أن كل الخصوم المحتملين لأمريكا – الدول المارقة ومعها الصين- كلها دول شمولية، وفي مقابل ذلك فإن أقرب أصدقاء الولايات المتحدة مثل بريطانيا، كندا، ألمانيا- هي دول متماثلة ثقافيا وسياسيا. وهو ما يبرز وكأن تجانس الأنظمة يساعد على بروز هوية مشتركة، وتنافرها يؤدي إلى نفيها، أو إلى العداء الشديد وإلى نشوب الحروب[45]، بما يعطي صورة أكثر وضوحا عن الخلفيات التي حركت تلك السياسة تجاه الفواعل ذات القيم المختلفة عقب أحداث 11 سبتمبر 2001، والتي كانت الفترة التي سيطر فيها تيار المحافظين الجدد على غرار بول ولفويتز، ريتشارد بيرل، وروبرت كيغن وغيرهم كثيرون، الذين تبنوا رؤى قائمة على النبوءات الدينية للأحداث والمخاطر الدولية.

ومنه فالمصالح المادية للولايات المتحدة التي كان يفترض أن تحدد سياستها

الخارجية، تجاه المنطقة العربية، بحسب تصورات الواقعية بدأت أقل تأثيرا من عوامل أخرى تمثلت في أبعاد الهوية الأمريكية وبشقيها الداخلي والخارجي ومدركات صناع سياستها الخارجية، وما تضمنته من أفكار وقيم، بحيث يشير فرانك نينكوفيتش "أن الأفكار أكثر من المصالح قد وجهت السياسة الخارجية الأمريكية"[46]. واتضح أن قضية العداء والصداقة لا ترتبط بالمصالح المادية، بقدر ما تجد جذورها في البنى الفكرية والإدراكية المشكلة للهوية الأمريكية، التي ظلت تحكم علاقاتها ب"الآخر"، ونظرت من خلالها لذاتها ك"مبشر" بالحرية والديمقراطية، ومسؤول عن تبليغها للآخرين حتى وإن تعارض ذلك على مستوى السلوك مع تلك القيم بحد ذاتها.

لقد كشفت سلوكيات السياسة الخارجية الأمريكية عن مدى التأثير الذي تخلقه مدركاتها عن الآخرين معتمدة على الصور النمطية المخزنة في الذاكرة الجماعية، وإدراكاتها للوضع الدولي وما ينطوي عليه من مخاطر، وكذا وضع التفوق الساحق الذي تمتعت به بما جعلها تسعى لفرض مجموعة من معايير السلوك على المستوى الدولي، أبرزته النزعة التدخلية والأحادية التي ميزت السياسة الخارجية الأمريكية منذ انهيار الاتحاد السوفياتي.

الخاتمة:

لعبت مخزونات الصور والإدراكات التي تشكلت لدى الأمريكيين عن ذاتهم وعن الآخرين عبر تاريخ الأمة الجديدة، دورا محوريا في تحديد توجهات السياسة الخارجية الأمريكية، فالأمريكيون الذين تصوروا أن بلدهم هو "المدينة فوق التل" الهادية لشعوب العالم نحو الحرية، والمكلفة بتبليغ تلك الرسالة ضمن ما تصورت أنه "قدرها المحتوم"، تصرفوا بناء على ذلك في تفاعلهم مع الدول الأخرى، وبناء على تلك الصور جرى تقسيم العالم إلى "خيرين" و"أشرار"، وضمن الخانة الأخيرة تم تصنيف كل الفواعل التي لا تتبنى القيم الأمريكية.

من جهة أخرى فإن الصور النمطية التي تراكمت خلال عملية التفاعل خلال السنوات الأولى من تأسيس الدولة الأمريكية مع المنطقة العربية، والتي لعبت فيها الدراسات الاستشراقية دورا مركزيا، كانت محددا مهما في السياسة الخارجية الأمريكية مع المنطقة العربية، فعلى الرغم من أن ما تصنفه الولايات المتحدة ك"مصالح حيوية" في المنطقة العربية، جرى ضمانها من طرف الأنظمة العربية، إلا أن الولايات المتحدة لم تتوان في اتهام تلك الأنظمة بتفريخ الإرهاب، وأن عليها أن تباشر جملة إصلاحات سياسية وتعليمية، ستنهي حالة العداء الذي تتبناه شعوبها تجاه السياسات

الأمريكية في المنطقة، وهو ما يكشف عن محددات أخرى ناظمة للتصنيف الذي تحتكم إليه واشنطن عن الآخرين، بين "زمرة الأصدقاء" و"زمرة الأعداء" التي تقع ضمنها مجمل المنطقة العربية والإسلامية عموما، هي المحددات التي ترتبط بالصور النمطية عن هذه المنطقة، التي تقع خارج دائرة الأصدقاء.

إن تلك الإدراكات والصور النمطية تمت عملية إعادة استحضارها بمجرد وقوع هجمات 11 سبتمبر 2001، والتي كان للمحافظين الجدد الدور المهم في إعادة إحيائها بالنظر لارتباط تصوراتهم بالميراث الثقافي الديني بشكل عميق، والذين أمعنوا في التوصيفات "الشيطانية" للعرب والمسلمين باعتبارهم "جنسا عنيفا" ولا يقبل بالقيم الأمريكية، وبالتالي فإن تخليهم عن الكراهية لأمريكا وقيمها يتطلب تغييرا للمنظومة القيمية لمجتمعات المنطقة، وفي حالات "الضرورة "تغيير الأنظمة السياسية" التي تتبنى تصورات قد تتعارض و"هوية الدور" الأمريكي ك"حام للعالم الحر" و"الديمقراطيات". ومنه فإن تلك الصور المخزنة لدى صناع السياسات الأمريكيين عن المنطقة العربية، كانت له تأثيراته المباشرة على طبيعة سياساتها في المنطقة.

ومنه فالسياسة الخارجية الأمريكية تجاه المنطقة العربية، والتي كانت ذروة التوتر فيها في الحرب ضد العراق تضمنت بعدا للهوية، فبغض النظر عن المصالح المختلفة للولايات المتحدة سواء النفطية أم الأمنية المتعلقة بضمان أن إسرائيل، فإن بعد الهوية يتجلى من خلال محاولات تأكيد هوية الدور، عندما أصبحت منذ انهيار الاتحاد السوفياتي تطمح ل "هوية دور" عالمية عبر منطق الهيمنة، والتي فسحت المجال لتوجهات جديدة في السياسة الخارجية، أعادت إحياء الأفكار القديمة عن المهمة المقدسة المتمثلة في "تعليم أمم العالم مبادئ الحرية والديمقراطية وكيفية قيادة أنفسهم"، مثلما عبر عنه ساسة الولايات المتحدة منذ فجر مغامراتها في القارة الأمريكية الجنوبية ثم لاحقا وراء المحيط في الفلبين وغيرها. ومن جهة أخرى فإن إصرارها على ضمان أمن إسرائيل التي ترتبط معها بمعاهدة دفاع استراتيجي، وبغض النظر عن التفسير المادي للمصالح، تحضر بقوة التصورات الأمريكية عن إسرائيل ك"قلعة للديمقراطية" في محيط من الديكتاتوريات الفاسدة، وبالتالي فهي تندرج في قطب الأصدقاء الذين تكون حماية مصالحهم من المصالح الوطنية، في سياق عملية التذويت. فضلا عن دور التيارات الدينية المسيحية المتصهينة التي تلعب دورا محوريا في ترسيخ تلك الفكرة.

الهوامش:

(1) David, Campbell, **Writing Security, United States Foreign Policy and the Politics of Identity**. University of Minnesota Press. Minneapolis. 1992. pp 1-2. Et ; Alex, Macleod. Isabelle, Masson et David Morin. Identité nationale, sécurité et la théorie des relations internationales. ***RevueD'études internationales,*** *volume XXXV, no 1, mars 2004. PP 07-24.*

(2) Valerie M. Hudson, "**Culture and Foreign Policy. Developing A Research Agenda**", In: Valerie M. Hudson (ed.,).**Culture and Foreign Policy**. Published in USA, Lynner.

ذكرته أماني محمود غانم العفيفي، "**البعد الثقافي في دراسة العلاقات الدولية"، دراسة في الخطاب حول صدام الحضارات** رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في العلوم السياسية. جامعة القاهرة 2005. ص 12.

(3) نادية مصطفى، **تحديات العولمة والأبعاد الحضارية والقيمية، رؤية إسلامية**. في: مجموعة مؤلفين. **مستقبل الإسلام**. ط1. دار الفكر. دمشق. 2004. ص 419- 420.

(4) معتز محمد السيد سلامة، **تأثيرات 11سبتمبر على المفهوم الامريكي للأمن القومي**. أطروحة دكتوراه، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، جامعة القاهرة.2008. ص40.

(5) Yosef Lapid, The Third Debate; On the prospects of International Theory in a Post-Positivist Era, **International Studies Quarterly**, vol. 33, No. 3 (Sep. 1989) pp 235-254.

(6) ستيفن وولت، العلاقات الدولية. عالم واحد نظريات عدة. ترجمة منير كمال. **مجلة الثقافة العالمية** العدد89. أوت 1998، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب. الكويت. ص 7- 21.

(7) عبد الخبير محمود عطا محروس، **البعد الديني في دراسة العلاقات الدولية،دراسة في تطور الحقل**. في: منى أبو الفضل ونادية محمود مصطفى(محررتان)، العلاقات الدولية، البعد الديني والحضاري المرجع السابق. ص 91.

(8) Nicolas, Onuf, **Constructivism: A User's Manual**, In: Vendulka Kubalkova, Nicolas Onuf, Paul kowert (ed). **International Relations in a Constructed World**. Armonk. 1998. P 58.

*يقول أنوف أن المعيار باعتباره البيان أو التصريح الذي يحدد للأفراد ماذا يجب أن يفعلوا، وكل الطرق التي يتعامل بها الأفراد مع تلك المعايير تسمى الممارسات.

(9) Ibid. p 59.

(10) Bill, McSweene, **Security, Identity and Interests A Sociology of International Relations.** Cambridge University Press. 1rst published 1999. p 102.

* للإطلاع أكثر على طبيعة العلاقة بين الهيمنة على اهتمامات الدراسات في مجالات العلاقات الدولية بمختلف تخصصاتها، والهيمنة الأمريكية على السياسة الدولية يمكن العودة إلى:

Smith , Steve. The United States and the Discipline of International Relations: "Hegemonic Country, Hegemonic Discipline. **International Studies Review**, Vol. 4, No. 2, International Relations and the New Inequality (summer, 2002), pp. 67-85.

(11) حسن الحاج علي أحمد، **حرب أفغانستان. التحول من الجيوستراتيجي إلى الجيوثقافي**، في: أحمد بيضون وآخرون، **العرب والعالم بعد 11 سبتمبر**. مركز دراسات الوحدة العربية. بيروت 2002. ص 260- 261.

(12) Alexander Wendt, Constructing International Politics, In: **International Security**, Vol. 20, No. 1 (summer, 1995), pp. 71-81.

(13) Alex, Macleod. Isabelle, Masson et David Morin, Identité nationale, sécurité et la théorie des relations internationales. ***Revue Etudes internationales,*** *volume XXXV, no 1, mars 2004. PP 07-24.*

(14) Ole R. Holsti, **Making American Foreign Policy**. Routledge, New York, 2006. p7.

(15) Thomas Lindemann**, Les guerres américaines dans l'après-guerre froide. Entre intérêt national et affirmation identitaire. Raisons politiques**. 2004- 1, n° 13 page 37 à 57.

(16) فاضل الربيعي، **ما بعد الاستشراق، الغزو الأمريكي للعراق وعودة الكولونيالية البيضاء**. مركز دراسات الوحدة العربية. بيروت، 2007. ص16.

*للاطلاع أكثر حول موضوع "خطاب الخطر" وتداعياته على الرؤية الأمريكية وسياساتها الخارجية والأمنية يمكن العودة إلى:

David, Campbell, **Writing Security, United States Foreign Policy and the Politics of Identity**. University of Minnesota Press. Minneapolis. 1992.

(17) بهجت قرني وآخرون، **صناعة الكراهية في العلاقات العربية الأمريكية**. مركز دراسات الوحدة العربية. بيروت 2003. ص30.

(18) المرجع نفسه. ص 31.

(19) غسان غصن، **الاستشراق الأمريكي: العرب والمسلون عرق إرهابي**. **مجلة شؤون الأوسط**. العدد105، شتاء 2002. ص89- 111.

(20) المرجع نفسه، ص 89- 111.

(21) المرجع نفسه، ص 89- 111.

(22) عصام نعمان، **أمريكا والمسلمين:**

مشكلة علاقة، المستقبل العربي، السنة 24، العدد 278، (أفريل 2002) ص 77- 91.

* يحمل أعضاء هذه المجموعة توجهات سياسية وإيديولوجية معادية للعرب والمسلمين عموما، وتشير إلى أن التكوينات الثقافية وأجزاء من تراث وثقافات وقيم بعض الشعوب تسهم في الدفع نحو التطرف والعنف، ولا تتوانى هذه المجموعة في التركيز على الصور النمطية والقوالب الجاهزة في التحريض ضد العرب والمسلمين باعتبارهم مصدر العنف والإرهاب.

(23) حسن الحاج علي أحمد، **حرب أفغانستان: التحول من الجيوستراتيجي إلى الجيوثقافي**، المرجع السابق. ص250.

(24) نصير عاروري. **حملة جورج و. بوش المناهضة للإرهاب**. في أحمد بيضون وآخرون. **العرب والعالم بعد 11 سبتمبر**. المرجع نفسه. ص233.

* كان مصطلح "الدول المارقة" يطلق على كل الدول التي أظهرت اعتراضا على "الهيمنة" الأمريكية، وعلى محاولاتها فرض نمط من المعايير في السلوك الدولي، وهي الدول التي كان رامسي كلارك (وزير العدل الأمريكي الأسبق) قد أشار إلى أن الإدارة الأمريكية قد وضعتها في خانة المستهدفين في نهاية الثمانينات عندما برزت مؤشرات انهيار الاتحاد السوفياتي.

(25) سميح فرسون. **جذور الحملة الدولية على الإرهاب**. في أحمد بيضون وآخرون. **العرب والعالم بعد 11 سبتمبر**. المرجع نفسه. ص 225.

(26) غسان غصن. المرجع السابق. ص 89- 111.

(27) بهجت قرني وآخرون. **صناعة الكراهية في العلاقات العربية الأمريكية**. مرجع سابق. ص30

(28) Clair Apodaca, **Understanding U.S. Human Rights Policy. A Paradoxical Legacy**. Routledge. New York London. 2006. Pp 2-3.

(29) روبرت بيرد، **الطريق إلى التستر هو الطريق إلى الخراب**. في آمي ورثغتون وآخرون. **العراق: الغزو- الاحتلال- المقاومة**. مركز دراسات الوحدة العربية. ط2 بيروت2004. ص52.

(30) ستيفان هالبر وجوناثان كلارك، **التفرد الأمريكي، المحافظون الجدد والنظام العالمي**. ترجمة عمر الأيوبي، دار الكتاب العربي. بيروت 2005. ص263

(31) سميح فرسون، المرجع السابق. ص 198.

(32) فرانسيس فوكوياما. **أمريكا على مفترق الطرق ما بعد المحافظين الجدد**. ترجمة محمد محمود التوبة. العبيكان، الرياض.2007. ص95.

(33) المرجع ذاته. ص 116.

(34) نصير عاروري، **حروب جورج دبليو بوش "الوقائية" بين مركزية الخوف وعولمة إرهاب الدولة**. في: مجموعة باحثين، **العراق: الغزو- الاحتلال- المقاومة، شهادات من خارج الوطن العربي**. مركز دراسات الوحدة العربية. الطبعة الثانية بيروت 2004. ص76.

(35) نصير عاروري، **حملة جورج و بوش المناهضة للإرهاب**. في: أحمد بيضون و آخرون،

العرب والعالم بعد 11 أيلول/سبتمبر. المرجع السابق. ص 238.

* يقدم وليام والاس مستويات أخرى لتعريف السياسة الخارجية، منها التعريف البراغماتي الذي يعرف السياسة الخارجية على أنها كل ما تقوم به الدولة في التعامل مع الدول الأخرى، والتعريف الدبلوماسي الذي يحصرها في التوجهات العامة لحكومة ما تجاه الحكومات الأجنبية ببناء التحالفات و التكتلات من أجل تحصيل المصلحة الوطنية وتفضيل نمط من أنماط النظام الدولي.

(36) William Wallace, **Foreign Policy and National Identity in the United Kingdom**. **International Affairs** (Royal Institute of International Affairs 1944-) Vol. 67, No. 1 (Jan., 1991), pp. 65-80.

(37) بهجت قرني وآخرون. المرجع السابق. ص 27.

(38) Thomas Lindemann, Opcit. pp 37 à 57.

(39) غسان سلامة، **أمريكا والعالم، إغراء القوة ومداها**. ترجمة مصباح الصمد. دار النهار، بيروت، ط2، 2006. ص130.

(40) لتفاصيل أكثر عن طبيعة ودور "تلك التصورات والإدراكات المزيفة" يمكن العودة إلى:

Thomas Lindemann, Opcit. pp 37-57.

* لقد شهدت العديد من الدول العربية عمليات"إصلاح" عميق لمنظوماتها التربوية انسجاما مع التصورات التي قدمتها الولايات المتحدة، ومنها الجزائر والمملكة العربية السعودية على وجه الخصوص، وهي إصلاحات لم تكن بالضرورة متلائمة مع خصوصيات هذه الدول بل اندرجت في سياق المطالب الأمريكية للمنطقة.

(41) Ibid. pp 37-57.

(42) مايكل هدسون، **مآزق امبريالية، إدارة المناطق الجامحة**. في أ حمد بيضون وآخرون. **العرب والعالم بعد 11 سبتمبر**. المرجع السابق. ص 115.

(43) Thomas Lindemann. Opcit. pp 37-57.

(44) ibid. pp 37-57.

(45) ibid. pp 37-57.

(46) غسان سلامة المرجع السابق. ص 57.